ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

شعرية الإيقاع العربي بين القديم والحديث

أ/ سعدون فاطمة
جامعة سطيف02
البريد الإلكتروني: tajwid30@gmail.com

Résumé :

Le rythme se relie avec la poésie. il était couramment utilisé dés le début de la poésie arabe, même si son concept n'était pas encore rigoureusement défini. la mesure métrique était la norme principale du poème, ce qui a rendu le concept du rythme différent entre ancien et moderne : de la mesure métrique, mètre, ryme, à y rythme intérieur et extérieur; rythme des mot et des sons.nous essayons d'illustrer tous ce qui précède dans le présent article.

ليس الغرض من هذه المداخلة إعطاء الأحقية لجهة على أخرى أو تغليب رأي فئة على الأخرى، بل هي مجرد محاولة لرصد شعرية الإيقاع في الشعر العربي قديمه وحديثه، وكيف تطور مفهوم الإيقاع من مجرد وزن وقالب تصاغ فيه النصوص، إلى تشكيل جمالي تتضافر كل العناصر لخدمته وإبرازه بشكل جمالي ومؤثر.

إن المتتبع لحركة النقد العربي القديم يلحظ غياب مصطلح الإيقاع في علم الشعر خاصة في تعريفه فهو ذاك الشعر الموزون المقفى حيث ارتبط الشعر بالوزن دون الإيقاع ما يجعلنا نظن أن هناك اختلاف بينها خاصة وأن النقاد العرب كانوا يعرفون هذا المصطلح لفظا بل واستعملوه في حديثهم عن الشعر ولكن حين تطرقهم للدلالة الموسيقية له، ذلك أن الإيقاع عندهم ارتبط بعلم الموسيقى فقط

فنجد ابن طباطبا يقول " وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من جنس تركيبه واعتدال أجزائه"[1] كما نجد قول إخوان الصفاء قي رسائلهم " إن الغناء مركب من الألحان واللحن مركب من النغمات

[1] ابن طباطبا: عيار الشعر، تحقيق طه الجابري وزغلول سلام، القاهرة 1956م، ص22.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

والنغمات مركبة من النقرات والإيقاعات واصلها كلها حركات وسواكن كما أن الأشعار مركبة من المصاريع والمصاريع مركبة من المفاعيل والمفاعيل مركبة من الأسباب والأوتاد والفواصل وأصلها كلها حروف وحركات وسواكن"[1]

من خلال هذين القولين نلحظ أن الإيقاع مرتبط بالوزن وهذا لا يخفى على متتبع الحركة النقدية القديمة، كون العرب اعتبروا العروض موسيقى الشعر، لكن هذا لا ينفي عدم اهتمامهم ولو جزئيا بعناصر أخرى أضفت إيقاعا للشعر من خارج العروض، من خلال اللغة والصورة فجاءت مصطلحات التطريز والتشطير والتجنيس وإن كانت مرتبطة بالوزن إلا أن لها ارتباطا باللغة والصورة كذلك

ويرجع اهتمام الشعراء قديما بالوزن لإيمانهم أن البحر -والذي يدل على الوزن- هو القالب الذي يصبّ فيه الشعر، لذلك نجد أن بينهما اختلاف "فالإيقاع غير الوزن وكثيرا ما يتعارض الإيقاع والوزن بحيث يضطر الوزن إلى كثير من التغييرات."[2] ويعود الاختلاف بين الإيقاع والوزن إلى أن "الإيقاع هو حركة الأصوات الداخلية التي لا تعتمد على تقطيعات البحر أو التفاعيل العروضية، وتوفير هذا العنصر أشق بكثير من توفير الوزن، لأن الإيقاع يختلف باختلاف اللغة والألفاظ المستعملة ذاتها، في حين لا يتأثر الوزن بالألفاظ الموضوعة فيه. تقول 'عين' وتقول'بئر' وأنت في أمن من عثرة الوزن، أما الإيقاع فهو التلوين الصوتي الصادر عن الألفاظ المستعملة ذاتها، فهو أيضا يصدر عن الموضوع، في حين يفرض الوزن على الموضوع. هذا من الداخل وهذا من الخارج."[3] وبحسب أن الوزن تشكيل خارجي وأن الإيقاع تشكيل داخلي، يكون "الإيقاع صورة أشمل من الوزن...الإيقاع ظاهرة صوتية

---

[1] إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الرسالة الخامسة، ج1، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1957م، ص ص196، 197.

[2] عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية والنقدية للشعر العربي. عرض وتفسير ومقارنة. دار الفكر العربي. القاهرة، مصر. دط. 1992م ص305

[3] حسين الواد: جماليات الأنا في شعر الأعشى. المركز الثقافي العربي. بيروت، الدار البيضاء. لبنان، المغرب.ط1. 2001م. ص315.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

وموسيقية في الوقت ذاته."[1] وهو عنصر من العناصر المكونة للتجربة الشعرية والذي يتغلغل في مكونات البيت الشعري حيث نجده في الحركات والصوامت والمقاطع والوزن[2].

فالإيقاع إذن موجود في كل عنصر من عناصر الشعر، في اللغة والصورة والنفس، وهو "في جوهره مبدأ أزلي إلهي يضمن استمرار حركة الظاهرات المادية، بما يوفر لها من التوازن والتناسب والنظام والدوام."[3]

والإيقاع بوصفه موجودا في حركة الظاهرات المادية؛ أي في الحياة كلها، يعدّ "إحساسا عميقا بمظاهر الكون، من حيث انسجام الأشكال، وتآلف الأصوات، وبذلك فإن الإيقاع في الشعر هو القيمة الإيحائية للكلمة، وهو أيضا ما تستطيعه الكلمة من إيحاء دلالي."[4]

إن شعرية الإيقاع قديما تتأتي من خلال ضبط الوزن وإجادة سبك تفاعليه فهم يعمدون إلى الزحافات والعلل فيجوزونها في بحر ويستهجنوها في آخر، كما أولوا اهتماما بالقافية والتي نجدها مرتبطة بالوزن في تعريفها كذلك وهي تاج النص الشعري عندهم لكن كل هذا لم يمنعهم من النظر في خارج عناصر الوزن فاهتموا بالبديع الذي رأوه يدخل في الصنعة اللفظية ويحدث النغم الموسيقي في النص الشعري

---

[1] علي حداد: خطاب الآخر. مقاربة لأبجدية الشاعر ناقدا. اتحاد الكتاب العرب. دمشق، سوريا. دط . 2000م.ص212.

[2] يراجع: ممدوح عبد الرحمن: المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية، مصر.دط. 1994م. ص12.

[3] محمد العياشي: نظرية إيقاع الشعر العربي. المطبعة العصرية. تونس. دط.1976م.ص42.

[4] خيرة حمر العين: جدل الحداثة في نقد الشعر العربي. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، سوريا. دط. 1996م. ص93.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

وهذا ما يوصلنا إلى القول بأن "السياق النقدي الذي جعل من الوزن إيقاعا قارا ومن ضروب الإيقاع الأخرى إيقاعا تغيرا يشكل جوهر النظرية الشعرية لمفهوم الإيقاع في النقد العربي القديم "[1]

لكننا لا نرى أن الوزن إيفاع قار كونه متغير كذلك صحيح أن النموذج واحد لكن وتبعا للزحافات والعلل التي يختارها الشاعر يجعل وزن القصيدة متغبرا ومختلفا عن نفس البحر الذي ينظم عليه شاعر آخر فبحر الطويل عند امرئ القيس ليس هو بحر الطويل عند طرفة

وإذا كان الشعر القديم يقوم على نظام معين يستند إلى تناسب الأشطر وتقابلها كما يشترط تناسب التفعيلات بين الشطرين، فإن الشعر المعاصر قد خلخل هذا النظام، حيث تبنى الشاعر "التفعيلة كوحدة إيقاعية مستقلة في تركيبه لبنية الإيقاع."[2] ولم يشترط عددا محددا للتفعيلات، بل جعلها تمتد بحسب الدفقة الشعورية. مما يعني أن عدد التفعيلات تابع لإحساس المبدع، لذلك فإن الشعر الحر يعتمد التفعيلة وحدة موسيقية أساسية تتكرر بنظام خاص مرتبط بالإيقاع النفسي الذي يحياه المبدع كما يحيا تجربته الشعرية.[3]

وبوصف التفعيلة الوحدة الموسيقية الأساس، فإنها تمثل إيقاع الشعر المعاصر، والذي "هو وحدة النغمة الناتجة عن اتفاق الأصوات، والتي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في بيت الشعر."[4] وهو الذي جعل القصيدة الجديدة تتميز باستثمارها للطاقات الإيحائية للإيقاع الكامنة في بحور الشعر، انطلاقا

---

[1] يوسف إسماعيل: بينة الإيقاع في الخطاب الشعري، قراءة تحليلية للقصيدة العربية في القرنين السابع والثامن الهجريين، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2004م، ص 16.

[2] محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب. دار التنوير. بيروت، لبنان. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، المغرب. ط2. 1985م. ص83.

[3] يراجع: ممدوح عبد الرحمن: المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية، مصر. دط. 1994م.ص118.

[4] عبد القادر بوشريفة، حسين لافي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الأردن. ط3. 2000م ص76.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

من الحرية الممنوحة للشاعر في عدد التفعيلات المستخدمة، والذي حرره من تبني تكرار نمطي يخلق إطارا إيقاعيا تقليديا كالذي كان مع القصيدة العمودية.[1]

إن الحديث عن الشعر المعاصر لا ينفي عدم اهتمامه بالوزن بل إن الشاعر المعاصر أراد أن يتخطى دائرة الخليل التي دار الشعر العربي لعدة قرون في فلكها فأجاز لنفسه تحطيم تلك الدائرة بحثا عن بديل لموسيقى الشعر، لكن الملاحظ أنه بقي يدور في فلكها وإن خرج عن محيطها أحيانا بخروجه عن الأبحر وبكسر التفعيلات لذلك بحث عن بديل موسيقي، فكان الإيقاع هو المصطلح لإشارته للموسيقى أولا كون الشعر ليس مجرد وزن أو قالب ولأنه أشمل من الوزن في التعريف ثانيا فهو "توزيع للحركة في الكلام وترتيبها."[2] أي أن الوزن قالب والإيقاع روح. في حين إن "الأوزان هي أساليب ظهور القصائد جماليا ومعرفيا"[3]

ولا تكاد الدراسات الحديثة تخلو من مصطلح الإيقاع المستخدم في علم الشعر ولعل أهم ما ظهر من تلك الدراسات ثنائيات الوزن/ الإيقاع، إيقاع داخلي/ إيقاع خارجي

فهناك من يرى أن الوزن هو الإيقاع الخارجي في حين أن الإيقاع الداخلي هو ما ينتج من الأصوات والصورة واللغة وهناك من رآه "الإيقاع الداخلي بحيث ينتج من الحركة الداخلية ضمن النمط الواحد وذلك وفق مظاهر الزحافات وما يقترن بها من تشديد وإمالة وتنويع خارج الأصوات "[4] أما الإيقاع الخارجي "فهو في علم العروض ما يندرج "تحت أنواع البحور التي تتأتى من الحركة والسكون في ترتيبهما ونسبتهما"[5]

وللإيقاع أهمية كبرى في الشعر المعاصر اكنساها من الأثر الناجم

---

[1] يراجع: محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، سوريا. دط. 2001م. ص32.

[2] حسين الواد: جماليات الأنا في شعر الأعشى. ص118.

[3] هلال الجهاد: جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، لبنان. ط1. جوان 2007م.ص117.

[4] يوسف إسماعيل: بينة الإيقاع في الخطاب الشعري، ص 33.

[5] م ن، ص ن.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

عنه، إذ إن "الأثر الممتع للإيقاع ثلاثي: عقلي وجمالي ونفسي، أما عقليا فلتأكيده المستمر أن هناك نظاما ودقة وهدفا في العمل، وأما جماليا فإنه يخلق جوا من حالة التأمل الخيالي، الذي يضفي نوعا من الوجود الممتلئ في حالة شبه واعية على الموضوع كله، وأما نفسيا فإن حياتنا إيقاعية: المشي والنوم والشهيق والزفير وانقباض القلب وانبساطه."[1]

إن الشعر المعاصر قد أولى للإيقاع الداخلي للقصائد اهتماما كبيرا مقارنة بالإيقاع الخارجي (الوزن)، لذلك نلحظ ذاك التمرد في البنيات العروضية الخليلية من حيث الهندسة فقط، لأن الشاعر المعاصر مايزال يعتمد تفعيلة الخليل أساسا لموسيقاه، "فالشاعر الحديث لم يلغ الوزن نهائيا في الشاعر، ولكنه أدخل على هذا الوزن تعديلات جوهرية؛ أحس بضرورتها لتحقيق المزيد من الإحساس بذبذبات المشاعر والمواقف النفسية، فأصبحت موسيقى نفسية في الدرجة الأولى، ترتبط ارتباطا وثيقا بحركة النفس وتموجاتها وبحركة الانفعال وذبذبته."[2]

فالقصيدة المعاصرة –إذن- تواصل "الاعتماد على الإيقاع الذي تولده البحور الخليلية؛ لكنها تعمد إلى تشذيبها، تتجلى عملية التشذيب تلك في تفجير هندسة البيت."[3] هذا التشذيب الذي فجر هندسة البيت، ومن ثمّ فقد جعل هيكل القصيدة المعاصرة يسهم في رسم الصورة الشعرية، وهذا مما لا شك فيه "فموسيقى الشعر بكل ما يردفها ويحققها من حيل نغمية، تسهم إسهاما فاعلا في خلق الجو النفسي، الذي يرسم الصورة الشعرية ويعبر عمّا تحمله التجربة الشعورية، وما تفرزه من انفعالات وخواطر تحدد مقاطع البيت، وتنظم ضروب الوقفات والسكنات، وتقرر مدى ضرورة القافية ونوعها، وهو الذي يتيح للشاعر إذا اقتضى الأمر أن ينتقل من وزن إلى آخر في القصيدة

---

[1] عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي. ص305.

[2] السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية. دار النهضة العربية. بيروت، لبنان. ط3. 1984م. ص202.

[3] محمد لطفي اليوسفي: في بنية الشعر العربي المعاصر. دار النهضة العربية. بيروت، لبنان. ط3. 1984م.ص146

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

الواحدة."[1]

ولأن الإيقاع الشعري يقوم على مستويين: خارجي وداخلي، فإن للإيقاع الداخلي سهما بارزا في تشكيل الخطاب الشعري المعاصر. كما أن التركيز على الإيقاع الخارجي فقط لم يعدْ ممكنا في ظلّ التطور الذي لحق القصيدة العربية. مما يحتم ضرورة التطرق إلى الإيقاع الداخلي، بوصفه من آليات صنع الدلالة كذلك. وهذا دون إهمال التطرق للوزن

الوزن:

إن الوزن بوصفه "كمية من التفاعيل العروضية المتجاورة والممتدة أفقيا بين مطلع البيت أو السطر الشعري وآخره المقفى."[2] لم يُلغَ من إيقاع القصيدة المعاصرة، بل إن الشاعر المعاصر لم يستطع التخلص منه مطلقا، بل كل ما تخلص منه هو اعتماده على كمٍّ رتيبٍ مكررٍ لا يتناسب وإيقاع العصر السريع الذي نعيشه[3].

وتعود أهمية الوزن إلى أنه "يمنح الشكل 'forme' للشعر، سواء كان وزنا كميّا أو مقطعيا أو نبريا."[4] ولعل هذا ما جعل الاستغناء عنه ليس تاما، "فالإيقاع الوزني المنتظم من ألزم خصائص الشعر، وأهم مقوماته، فعنصر الموسيقى ركيزة من ركائز العمل الفني في الشعر."[5] ولأن الوزن موسيقى خارجية تمنح الشكل للقصيدة، فهو يمنعها من التبعثر[6].

---

[1] عمر يوسف قادري: التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة، الجزائر، دط، دت، ص144.

[2] علوي الهاشمي: فلسفة الإيقاع في الشعر العربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، لبنان. ط1. 2006م. ص 24

[3] يراجع طه الوادي: جماليات القصيدة المعاصرة. الشركة العالمية للنشر لونجمان.ط1. 2000م.ص115.

[4] عبد الرحمن تبرماسين: العروض وإيقاع الشعر. دار الفجر للنشر والتوزيع. القاهرة، مصر. ط1. 2003م. ص80.

[5] عبد الرحمن آلوجي: الإيقاع في الشعر العربي. دار الحصاد. دمشق، سوريا. ط1. 1989م. ص50

[6] يراجع: رجاء عيد: التجديد الموسيقي في الشعر العربي، دراسة تأصيلية تطبيقية بين القديم والجديد لموسيقى الشعر العربي. منشأة المعارف. الإسكندرية، مصر. دط. دت. ص16.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

ومفهوم الوزن أو ما يصطلح عليه البحر العروضي، والذي أقره الخليل "يوضح مصدرا هاما لتوليد الموسيقى في الشعر"[1]، إلى جانب مصادر أخرى تسهم في إحداث الإيقاع، وفي هذا إقرار للاختلاف بين الوزن والإيقاع.

إن الاختلاف بين الوزن والإيقاع راجع إلى "تقسيم الإيقاع إلى مستويين: ظاهر مدرك حسي، وخفي مستتر. أما الظاهر فمن أهم مظاهره الوزن وأنظمة التقفية، أما الإيقاع الداخلي فهو الجانب اللغوي الداخلي من تراكيب لغوية، وصيغ صرفية، وسياقات شعرية تصويرية، والرمز، والبناء العام للنص، بما يقيم تماسكه وانسجامه."[2] وبما أن الإيقاع أشمل من الوزن، نجد الوزن عنصرا من عناصر الإيقاع؛ الذي يتفاعل مع عناصر أخرى سعيا وراء الدلالة والنغمية "فالعروض دال يتفاعل مع دوال أخرى لبناء الإيقاع في نسق ينتج دلالية الخطاب."[3] مما يجعلنا نقول إن الإيقاع لا ينشأ "بالدال العروضي وحده... بل هو عنصر من بين عناصر أخرى."[4]

وتفاعل الوزن مع العناصر الأخرى للإيقاع يجعل "للوزن تأثيره الخاص"[5] الذي يؤدي إلى تأثر إيقاع التجربة به والعكس صحيح.[6]

و يلاحظ أن تأثير الوزن هو أول ما يظهر للسامع أو القارئ، لأنه أول ما يشدّ الانتباه إلى أن المادة اللغوية شعر وليست نثرا. الأمر الذي يجعل الاهتمام بالوزن مسلّمة، بل هو في لا وعي متلقي الشعر، فالقارئ للشعر لا يستطيع تصوره دون وزن، ولعله السبب وراء عدم استغناء الشعر الحر عنه. وإن أحدث تعديلات عليه، إلا أنه يظلّ قائما على وحدة التفعيلة والتي تتشكل

---

[1] يمنى العيد: في معرفة النص. منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت، لبنان. ط3 . 1985.ص94.

[2] قايد سليمان مراد: الشعر الصوفي الشعبي (البنية والرؤيا). مجلة الأثر. جامعة ورقلة، الجزائر. عدد06. ماي 2007م. ص137.

[3] محمد بنيس: الشعر العربي الحديث.ج3. الشعر المعاصر. دار توبقال للنشر. المغرب. ط3. 2001م. ص109.

[4] م . ن . ص 149.

[5] حسني عبد الجليل يوسف: التمثيل الصوتي للمعاني، دراسة نظرية تطبيقية في الشعر الجاهلي. الدار الثقافية للنشر. القاهرة، مصر. ط1 . 1998م. ص 46.

[6] يراجع: م . ن . ص ن.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

من حركات وسواكن، وما الوزن سوى حركات وسواكن تتفاعل فيما بينها لينتج نغما موسيقيا معينا. لذا "فمن الأصوب –والأمر كذلك- أن نفترض أن النظام الإيقاعي للقصيدة متميز عن الوزن المجرد، وأن نفترض –بالمثل- أن الوزن المجرد لكل بحر محض تصور ذهني."[1] ولأنّ "الوزن هو مادة موسيقى الشعر، [فإنه] لا يمكن لهذه المادة أن تحيا من دون تدخل الروح فيها، وروح الوزن هو الإيقاع الذي يولد من خلال امتزاج التجربة بالوزن، ولا تظهر القصيدة بوزنها عند المتلقي، إنما تظهر بإيقاعها 'ممثل الوزن في عملية التوصيل'."[2]

إن هذا الكلام يؤكد أنّ الوزن شيء مجرد، بل هو من المعيار النظري الذي لا يتجسد في الواقع الشعري إلا من الإيقاع، هذا الذي يحس به المتلقي والذي يخضع لنفسية الشاعر، فينقص من الوزن المثال بعض المتحركات والسواكن، وقد يمتدّ إلى التفعيلة فيحذف جزءا منها، كما قد يزيد عليها.

ولكن إن كان الوزن موسيقى خارجية، فهل هذا يعني أنه لا تأثير له في البنية؟ وهل في مقدورنا الاستغناء عنه لأنه عنصر مجرد يقوم على بنيات مجردة؟

وإذا كان الوزن في تكوينه من عناصر مجردة يشكل "خطا أفقيا في النص الشعري كغيره من خطوط اللغة، والأصوات، والصور، والأفكار، وإلى غير ذلك من خطوط أفقية تمثل بتراكبها تراكمات النص الشعري."[3] فإنه لحظة تقاطعه بالإيقاع يغدو "ذا خصوصية موسيقية تتصل بتجربة النص وخصوصية الشاعر، مما يمثل إحدى السمات الأسلوبية، وكذلك الشأن مع بقية الخطوط الأفقية في نقط تقاطعها بخط الإيقاع، الذي يحولها إلى مظاهر أسلوبية متميزة في تجربة النص."[4]

فتقاطع الوزن مع الإيقاع يشكل المفارقة التي تمنح الجمالية لكل قصيدة على حدة. وهذا ما يحاول الباحث في النص الشعري تتبعه

---

[1] جابر عصفور: مفهوم الشعر. دراسة في التراث النقدي. مؤسسة فرح للصحافة. قبرص. ط4. 1990م. ص207.

[2] محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية. ص 22.

[3] علوي الهاشمي: فلسفة الإيقاع في الشعر العربي. ص23.

[4] م.ن، ص ن.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

الإيقاع الداخلي:

وهو الإيقاع الذي يتأتّى من البنية العميقة للخطاب الشعري، والمقصود به "مجموع العلائق فيما بين الوزن والشحنات الإيقاعية في دفقاتها الشعورية، وما ينتج عن ذلك من مكونات وتموجات نفسية تتلاءم مع قوى تفاعل الكلمة."[1] وهذا يعني أنه لابد من "النظر إلى الموسيقة الداخلية على أنها وليدة في أحاسيسها المنبثقة من قوى الذات المتفاعلة مع خصوصية تمايز مثيرات الحدث، والربط بينه وبين متباعداته في إدراك الشاعر."[2] ولأن الموسيقى الداخلية تتولد من أحاسيس الذات، فهي مرتبطة بالنفس، متجسدة في بناء القصيدة، ومن ثمّ يكون الإيقاع الداخلي "حركة موقعة في بناء القصيدة أو نسيجها، مجردة من عنصر الصوت. وهي حركة لا يتمّ إدراكها من خلال حاسة السمع أو البصر، وإنما من خلال نمو الحركة داخل البناء الكليّ للقصيدة."[3]

ويعدّ الإيقاع من أهم العناصر في الشعر المعاصر، والذي تعتمد عليه القصيدة الحديثة بنسبة عالية لإضفاء الجمالية والحس النغمي، حيث إن الإيقاع الداخلي يعدّ "مصدرا موسيقيا تتوفر عليه القصيدة الحديثة بشكل يخصها ويميزها، أو كأن 'الإيقاع الداخلي' جزء أولي وهام من عنصر الموسيقى فيها."[4] غير أننا نشير إلى أنه لم يتمّ ضبط تعريف دقيق للإيقاع الداخلي، حيث نجد أن معظم "الدراسات التي تتحدث عن الإيقاع تجعل الإيقاع في مستواه الخارجي يتمثل في الوزن والقافية وما يلحق بهما من تنويع، بينما تجعل الإيقاع في مستواه الداخلي يتمثل في ما يتوفر في النص الشعري من قواف داخلية، ضروب بديع، وحروف مدّ أو حلق أو همس، وما إلى ذلك، ومدى الانسجام بين هذه الظواهر وبين جوّ القصيدة أو تجربة الشاعر أو نفسيته."[5]

---

[1] عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي دراسة سيميائية للشعر الجزائري. ديوان المطبوعات الجامعية. وهران، الجزائر. ط1. 1993م. ص55.

[2] م . ن. ص ن.

[3] خالد السيد: الإيقاع الداخلي في القصيدة العربية المعاصرة. مجلة الآداب. جامعة قسنطينة، الجزائر. عدد04. 1997م. ص256.

[4] يمنى العيد: في معرفة النص. ص 100.

[5] خالد السيد: الإيقاع الداخلي في القصيدة العربية المعاصرة. ص258.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

والإيقاع الداخلي بوصفه مرتبطا بالحالة الشعورية للشاعر، والذي يتغلغل في بناء خطابه لينساب بين الألفاظ والتراكيب، مختلف عن الإيقاع الخارجي (الوزن) "في عدم ارتكازه على عنصر الصوت بمثل تلك الدرجة التي يرتكز عليها الإيقاع الخارجي، وإن كان لا يهملها، بل يخصبها بالمداخلة بينها وبين مستويات أخرى أكثر اتصالا بمكونات النص الأخرى، كاللغة والصورة والرمز والبناء العام."[1] مما يجعل البحث في الإيقاع الداخلي لنسيج الخطاب الإبداعي يقوم على البحث في البنية التركيبية، وذلك لأن الشاعر المعاصر لم يعد يكتفي بالإيقاع الخارجي تشكيلا موسيقيا لإبداعه، كما أن تصوره للإيقاع الداخلي جعله يزاوج بينه وبين اللغة على جميع مستوياتها من صورة، ورمز، وألفاظ وتراكيب، جعل شعرية الإيقاع تنفصل "في تصورها للنص الشعري عن الشعرية البنيوية والشعرية الدلائلية، كما انفصلت عن شعرية الاستعارة المتجذرة في قراءة الشعر -قديما وحديثا-"[2]

إن الاختلاف بين شعرية الإيقاع وهذه الشعريات يرجع إلى أن "شعرية الإيقاع تقوم على أسبقية الدال في الخطاب الشعري بدل أسبقية الدليل، كما تقول الشعرية البنيوية والدلالية بذلك."[3]

وانفصال شعرية الإيقاع عن هذه العناصر محاولة للبحث عن الحركة، لأن الشعريات الأخرى جامدة مقولبة، في حين أن الإيقاع لا ينبغي أن يكون قالبا جاهزا، بل هو "ذاتي-موضوعي، لأنه ليس قالبا جاهزا عاما، وإنما هو: مجرد مادة تتشكل بحسب قصدية الشاعر واجتماعيته، فيأتي بطيئا أو سريعا، طويلا أو قصيرا."[4]

والحركة الإيقاعية هذه التي نسمها بالبطء والسرعة، الطول والقصر ترتبط "بالإيقاع الداخلي للكلمات، أي إيقاع الحركات والسكنات بما

---

[1] محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية. ص57.
ويراجع كذلك: علوي الهاشمي: فلسفة الإيقاع في الشعر العربي. ص53.

[2] خالد بلقاسم: أدونيس والخطاب الصوفي. دار توبقال للنشر. المغرب. ط1. 2000م.ص ص. 32. 33.

[3] محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها.ج3. ص107.

[4] محمد مفتاح: دينامية النص. دينامية النص. المركز الثقافي العربي. بيروت، الدار البيضاء. لبنان، المغرب. ط1. 1987م. ص63.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

فيها من قوة ولين، ومن طول وقصر، ومن همس وجهر."[1]

فالإيقاع الداخلي –إذن- يولي اهتماما بخصائص الصوت وليس الصوت فقط، إذ يتعامل فيه مع صفات الأصوات المشكلة للكلمات، بحثا عن حركية أكبر وتفاعل أكثر، متجنبا تنافر الأصوات انطلاقا من تباعد مخارج الحروف المكونة للألفاظ، وذلك أن "الموسيقى الداخلية هي ذلك الإيقاع الهامس الذي يصدر عن الكلمة الواحدة؛ بما تحمل في تأليفها من صدى ووقع حسن، وبما لها من رهافة، ودقة تأليف، وانسجام حروف، وبُعْد عن التنافر وتقارب المخارج."[2]

وللصوت مهام أخرى في الشعر المعاصر، إذ يسهم في إضفاء عنصر التنغيم وزيادته؛ بوصفه من وسائل الإيقاع، حيث إن "أية وسيلة صوتية تقوم بتعيين الجملة أو تقسيمها أو توضيح تراتبية مكوناتها، هي إشارة مستقلة تماما، وهكذا يبين الإيقاع –وقوع التنغيم في نهاية الجملة نهاية وحدة المعنى التي تقدمها الجملة."[3] وليس الصوت والتنغيم المترتب عنه فقط ما يشكلان الإيقاع الداخلي، بل إن الإيقاع الداخلي للقصيدة الحديثة "قائم في حركة مكوناته"[4]؛ هذه الحركة التي تتأتّى من بناء القصيدة، ومن تفاعل مكونات هذا البناء، الأمر الذي يجعل "الإيقاع الداخلي في النص الشعري حركة مجردة من عنصرها الصوتي، فهي حركة متكررة ومتماثلة ومنتظمة، تكمن في بنية القصيدة أو في نسيجها غير الصوتي، كما أن هذا المستوى من الإيقاع غير قابل للتقعيد والنمذجة، شأن الإيقاع الخارجي."[5]

ويحتل الإيقاع الداخلي مكانة مهمة في تشكيل الخطاب الحداثي، إذ "يأتي الإيقاع الداخلي ليسدّ الشروخ التي خلفها التخلي عن الوسائل القديمة؛ التي يعتمد عليها الشعر العربي القديم، ونعني بها السجع والجناس والطباق والإتيان بكلمات متفقة من حيث الصيغة الصرفية، وبإيجاز كل الوسائل التي

---

[1] عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. دار العودة ودار الثقافة. بيروت، مصر. ط3 .1981م. ص53.

[2] عبد الرحمن آلوجي: الإيقاع في الشعر العربي. ص74.

[3] رومان ياكوبسون: 6 محاضرات في الصوت والمعنى. تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح. المركز الثقافي العربي. بيروت، الدار البيضاء. لبنان، المغرب. ط1. 1994م. ص91.

[4] يمنى العيد: في معرفة النص. ص101.

[5] خالد السيد: الإيقاع الداخلي في القصيدة العربية المعاصرة. ص264.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

كانت تتضافر مع الوزن لتمنح النص أبعاده الإيقاعية."[1]

واعتماد الإيقاع الداخلي ليس لهدف موسيقي فقط، بل إن ما فيه من دلالات يضفيها على الخطاب الشعري تجعله جزءا مهما من أجزاء تشكيل هذا الخطاب، فهو يعدّ "جزءا متميزا في العنصر الموسيقي في القصيدة الحديثة، جزءا يتولد في حركة موظفة دلاليا، إن الإيقاع هنا هو حركة تنمو وتولد الدلالة."[2] هذه الدلالة المتولدة عن الإيقاع ترجع إلى أنه لم يعد مجرد تصور ذهني أو قالب مجرد، بل إن الإيقاع أضحى "ينساب في اللفظة والتركيب فيعطي إشراقة ورقّة تومئ إلى المشاعر، فتجليها وتحسن التعبير عن أدق الخلجات وأخفها."[3]

وفي الأخير يمكن القول إن الإيقاع في الشعر هو واحد من العناصر التي تمنحنا اللذة في القراءة والكتابة، ولا يمكن أن نتصور نصا شعريا دون إيقاع، ولسنا نقول إيقاعا داخليا أو إيقاعا خارجيا، ولكن إيقاع تتضافر كل العناصر لتشكيله؛ من لغة وصورة وهيكل.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1. ابن طباطبا عيار الشعر تحقيق طه الجابري وزغلول سلام، القاهرة 1956م
2. إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الرسالة الخامسة، ج1، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1957م

المراجع

1. جابر عصفور: مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي. مؤسسة فرح للصحافة. قبرص. ط4. 1990م.
2. حسني عبد الجليل يوسف: التمثيل الصوتي للمعاني، دراسة نظرية تطبيقية في الشعر الجاهلي. الدار الثقافية للنشر. القاهرة، مصر. ط1 . 1998م.
3. حسين أبو النجا: الإيقاع في الشعر الجزائري. منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين. الجزائر. دط. 2003م.

---

[1] محمد لطفي اليوسفي: في بنية الشعر العربي المعاصر. ص147.

[2] يمنى العيد: في معرفة النص. ص105.

[3] عبد الرحمن آلوجي: الإيقاع في الشعر العربي. ص79.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

4. حسين الواد: جماليات الأنا في شعر الأعشى. المركز الثقافي العربي. بيروت، الدار البيضاء. لبنان، المغرب. ط1. 2001م.
5. خالد بلقاسم: أدونيس والخطاب الصوفي. دار توبقال للنشر. المغرب. ط1. 2000م.
6. خيرة حمر العين: جدل الحداثة في نقد الشعر العربي. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، سوريا. دط. 1996م.
7. رجاء عيد: التجديد الموسيقي في الشعر العربي، دراسة تأصيلية تطبيقية بين القديم والجديد لموسيقى الشعر العربي. منشأة المعارف. الإسكندرية، مصر. دط. دت.
8. السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية. دار النهضة العربية. بيروت، لبنان. ط3. 1984م.
9. طه الوادي: جماليات القصيدة المعاصرة. الشركة العالمية للنشر لونجمان.ط1. 2000م
10. عبد الرحمن آلوجي: الإيقاع في الشعر العربي. دار الحصاد. دمشق، دمشق. ط1. 1989م.
11. عبد الرحمن تبرماسين: : العروض وإيقاع الشعر العربي. دار الفجر للنشر والتوزيع. القاهرة، مصر. ط1. 2003م.
12. عبد القادر بوشريفة، حسين لافي قزق: مدخل إلى تحليل النص الأدبي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الأردن. ط3. 2000م.
13. عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي دراسة سيميائية للشعر الجزائري. ديوان المطبوعات الجامعية. وهران، الجزائر. ط1. 1993م
14. عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة. دار الفكر العربي. القاهرة، مصر. دط. 1992م.
15. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. دار العودة ودار الثقافة. بيروت، مصر. ط3 .1981م.
16. علوي الهاشمي: فلسفة الإيقاع في الشعر العربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، لبنان. ط1. 2006م.
17. علي حداد: الخطاب الآخر مقاربة لأبجدية الشاعر ناقدا. اتحاد الكتاب العرب. دمشق، سوريا. دط . 2000م.
18. عمر يوسف قادري: التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون. دار هومة. الجزائر.دط. دت.
19. محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها.ج3. الشعر المعاصر. دار توبقال للنشر. المغرب. ط3. 2001م.
20. محمد بميس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب. دار التنوير. بيروت، لبنان. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، المغرب. ط2. 1985م
21. محمد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، سوريا. دط. 2001م.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

محمد العياشي: نظرية إيقاع الشعر العربي. المطبعة العصرية. تونس. دط. 1976م. 22.
23. محمد لطفي اليوسفي: في بنية الشعر العربي المعاصر. سراس للنشر. تونس. ط2 . 1992م
24. محمد مفتاح: دينامية النص. المركز الثقافي العربي. بيروت، الدار البيضاء. لبنان، المغرب. ط1. 1987م.
25. ممدوح عبد الرحمن: المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية، مصر. دط. 1994م
26. هلال الجهاد: جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، لبنان. ط1. جوان 2007م.
27. يمنى العيد: في معرفة النص. منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت، لبنان. ط3 . 1985م
28. يوسف إسماعيل بينة الإيقاع في الخطاب الشعري قراءة تحليلية للقصيدة العربية في القرنين السابع والقامن الهجريين، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2004م

الكتب المترجمة

1. ياكوبسون (رومان): 6 محاضرات في الصوت والمعنى. تر:حسن ناظم وعلي حاكم صالح. المركز الثقافي العربي. بيروت، الدار البيضاء. لبنان، المغرب. ط1. 1994م

المقالات

2. قايد سليمان مراد: الشعر الصوفي الشعبي (البنية والرؤيا). مجلة الأثر. جامعة ورقلة. عدد06. ماي 2007م
3. خالد السيد: الإيقاع الداخلي في القصيدة العربية المعاصرة. مجلة الآداب. جامعة قسنطينة. عدد04. 1997م.